ولي العهد(١)

تأليف: روم لانداو

ترجمة: د. محمد بن عبدالله القويزاني
كلية اللغات والترجمة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

لم أقابل الأمير سعود - ولي عهد الملك ونائبه في نجد - إلا بعد شهور عدة عندما عدت إلى إنجلترا، حيث كان ولي العهد يقضي شهراً في الاستجمام بعد شهر أمضاه في لندن ممثلاً لوالده في حفل تتويج الملك جورج السادس(٢).

كنت أعرف شكله من الصور، فقد بدا شديد الشبه بوالده، ذا طول يزيد على ستة أقدام، ومظهر يشي بوقار الملوك. وحين وصلت بعد مغادرته في مكان أو مكانين في الشرق، كنت أجد خلفه شعبية كبيرة في تلك الأماكن.

كان موسم لندن في أوجه، وعندما وصلت في الوقت المحدد لفندق دورتشيستر، حيث كان الأمير سعود يقيم، قيل لي بأن "السادة العرب لم يحضروا بعد من آسكوت(٣)". ولا أعرف سبب اندهاشي حين قيل لي ذلك، فمن الطبيعي أن الأمير سعود كان يتبع جدول الزيارة الرسمي المعد له. كما أنه كان فارساً من الطراز الأول، واعتاد

---

(١) هذا النص المترجم هنا هو فصل من كتاب مطبوع بعنوان "البحث عن الغد" Search for Tomorrow، لمؤلفه روم لانداو Rom Landau، نشر عام ١٩٣٨م (١٣٥٧هـ).

(٢) كانت تلك الرحلة في عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

(٣) سباق خيل شهير في بريطانيا، بدأ عام ١٧١١م (١١٢٣هـ).

في بلاده على الدخول في سباقات الخيل مع غيره من العائلة المالكة. بيد أنني كنت غارقاً في تصور بلاد ابن سعود، جزيرة العرب، وحينها لم تكن آسكوت ملائمة للدخول في هذه الصورة.

وبعيد وصولي بقليل، ظهر "السادة العرب" يرتدون ملابسهم التقليدية. وبدا الأمير سعود بمظهر الملوك حتى في هذه البيئة المعقدة، وبدت لي شبه الجزيرة العربية أبعد مما كانت عليه قبل ظهوره.

جلسنا حول طاولة في ضيافة الأمير، وتناولنا الشاي والقهوة في أكواب أوربية كبيرة، صبها لنا نادل نظيف للغاية، كان عيبه الوحيد هو أنني كنت أقارن بينه وبين زملائه الصامتين في الشميسي(٤)، وهذه مقارنة ظالمة بطبيعة الحال.

كانت رحلة آسكوت متعبة؛ لذلك لم يكن الأمير سعود راغباً في أن تتخطى محاورتنا الكلام الخفيف والمجاملات. أما أنا فكنت مفعمًا بالحماس الذي ألهبه في والده قبل شهور عدة، وكان فضولي متوهجًا.

كانت الصور تبرز الأثر في إحدى عيني الأمير سعود، غير أنه في الواقع يكاد يكون غير ملحوظ، ولا يؤثر في تعابير عينيه الناعمتين البريئتين، اللتين ما إن تلتقيا بعيني زائره حتى تهربان وكأنهما تستعيبان فضولهما. كان يبدو كغزال يروم الحركة، وكان وجهه مملوءًا بحياء مدهش، وأنفه قصيرًا، وفمه واضح المعالم، ويداه جميلتين.

وفي إحدى اللحظات حاولت طرح موضوع جاد، فسألته إن كان يشعر بالحنين لموطنه، فأجابني بأن الإنسان يحن لموطنه بلا شك، غير أنه كان مستمتعاً بالزيارة، وليس لديه مانع في مد رحلته قليلاً.

---

(٤) يقارن المؤلف هنا بما شاهده أثناء مقابلته الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في موقع الشميسي بين جدة ومكة المكرمة.

وبعد بضع دقائق أريته صوراً لوالده وإخوته كنت قد التقطتها في الشميسي، وبعد أن أطال النظر فيها دقائق عدة، أعادها قائلاً: "لقد جعلتني هذه الصور أحن لوطني"، وعلى محياه تعابير شخص يتوق للعودة لمنزله.

لقد أدهشني هذا المزيج المهيب بين الملكية والشباب، ولم أستطع تجاوزهما لمعرفة سعود الإنسان. لقد كان يثير الإعجاب، إلا أن الصفات التي تبرز من محاورة واحدةٍ مع والده من الصعب وجودها.

وظهر اهتمامه حين اقترحت عليه إكمال دراسة اللغة الإنجليزية في الرياض عن طريق الإسطوانات، وأضحكته فكرة اختفاء مدرس اللغة الإنجليزية في مشغل الإسطوانات. ثم بدأ يتحدث عن المذياع، وأهميته في جلب الأخبار الأجنبية - وخاصة من لندن - لبلاده البعيدة. إلا أن ذلك كان هو الحد. ففي محاورتي مع الملك ابن سعود، كانت حتى أيسر الأمور تكتسب أهمية مضاعفة حين يتحدث عنها، وكما لو أن إنسانيته وإيمانه تمدان موضوعاته بسبب سحري. إلا أن الأمير سعود كذلك بنى أخلاقه على ذات المبادئ الدينية التي آزرت والده في محنه وانتصاراته.

الأمير سعود بنى أخلاقه على ذات المبادئ الدينية التي آزرت والده في محنه وانتصاراته

وبدا لي حين كنت أستمع إليه ظلم المقارنات التي كنت أجريها بينه وبين والده، حيث كان هو في أول الطريق، في حين تجاوز والده الزعامة في إطاره. وحتى قبل ميلاد الابن فقد بدأ الوالد حياته الحافلة، أولا بوصفه مستردًا للحكم، ثم سياسيًا، وأخيراً حاكمًا وقائدًا ثقافيًا لشعبه.

وجابهتني فكرة أخرى، فلقد كان الأمير سعود - وهو الابن الحق لجزيرة العرب - رجلا ظهرت فيه المبادئ الإسلامية الأصيلة بقوة،

فلم يكن يرغب في إبراز شخصيته ووالده ما يزال على قيد الحياة. ويصبح مفتاح شخصيته وخلقه، ليست في عقبة الحياء الطفولية، بل في القيود التي كبلها نفسه طواعيةً أثناء طاعة الابن التقليدية لوالده واحترامه. وحين سألت أحد أفراد حاشيته قبل أيام عدة عن خططهم في الأسابيع القليلة القادمة أخبرني أن الأمر راجع للملك، الذي كان مستقراً في منزله في الرياض على بعد آلاف الأميال. فمن قلب الصحراء العربية الواسعة بعيداً عن ملهيات موسم لندن كما يبعد إنسان في القمر كان ما يزال يقود خطا ابنه. كانت تلك عادات العائلة الإسلامية.

ودون شك، فقد كان ذلك الشاب البهيج – الذي كان أباً لثلاثة أطفال، أكبرهم في الثانية عشرة – مستعداً للنهوض حين يدعوه الواجب للقيادة؛ ليتجاوز تواضعه الحيي. ولسوف يظهر شخصيته الحقيقية التي تختفي الآن تحت قيود يفرضها عليه الدين والقيم الأصيلة.